السرايا في السيرة النبوية والحكم والفوائد منها

الدكتور / محمد أحمد محمد عبدالعال الشرباني[4]

ملخص البحث

السرايا توضح بجلاء الحكمة العسكرية والقيادية للنبي صلى الله عليه وسلم. الحاجة إلى دراسة السرايا لاستنباط الحكم والفوائد منها الإيمانية والتربوية والفكرية والدعوية فضلا عن العسكرية، مما لم يذكر في كتب الأقدمين ويكون منثورًا متفرقًا في كتب المعاصرين، والرد على بعض شبهات المستشرقين. ومعرفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم في السرايا والحروب، واستنباط الحكم والفوائد التي اشتملتها تلك السرايا، والرد على بعض شبهات المستشرقين. منهج البحث: الوصفي التحليلي. وأهمية وجود قوات خاصة تقوم بالمهمات العسكرية والدعوية واللوجستية مما لا تستطيع الجيوش القيام به أو لا يناسبها، أن السرايا لم تكن قطعًا للطريق أونهبًا كما يرروج لذلك المستشرقون بل لإشعار الأعداء في الداخل والخارج بقوة المسلمين، وحفظ هيبة المسلمين، واستعادة بعض الحقوق المسلوبة، ومن فوائد السرايا تدريب الصحابة على الطاعة في كل الأحوال، وإتقان فنون القيادة والقتال، ورصد تحركات العدو، وتبليغ دعوة الإسلام. وزيادة البحوث التحليلية للسرايا لاستنباط الفوائد والحكم المتنوعة.

الكلمات المفتاحية: الغزوة، السرية، السيرة، النبوية، الحكم.

.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فالسيرة النبوية المشرفة بمثابة التطبيق العملي للمنهج الإسلامي, وطريق لفهم الإسلام فهمًا صحيحًا، والسرايا التي قام بها الصحابة رضي الله عنهم تبين التضحيات التي قدمها صحابة النبي صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، كما تبين كيف ربى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم على العزة والتضحية، والفداء، وحب الإسلام والدفاع عنه بكل غال ونفيس، وأن النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم قدموا نموذجًا تطبيقيًا للحضارة الإسلامية في الحروب، والأخذ بأسباب التمكين على كل المستويات المادية والمعنوية.

وقد قسمت البحث إلى خمسة مباحث: المبحث الأول: مبحث تمهيدي ويشتمل على أولًا: أهمية دراسة السرايا والغزوات. ثانيًا: تعريف السيرة والغزوة والسرية، والفرق بين الغزوة والسرية، ثالثًا: عدد

[4] Pensyarah Jabatan Quran dan Sunnah, Fakluti Pengajian Islam di Universiti Islam Pahang Sultan Ahmad Shah (UnIPSAS). Email: sharbany@unipsas.edu.my. Diterima; 26 Oktober 2022. Disemak; 9 November 2022. Diterbitkan; 09 Disember 2022.

الغزوات والسرايا. المبحث الثاني: السرايا قبل بدر الكبرى والحكم والفوائد منها. المبحث الثالث: الحكم والفوائد من السرايا بعد صلح الحديبية. المبحث الرابع: سرية مؤتة والحكم والفوائد منها. المبحث الخامس: سرايا تحطيم الأوثان بعد فتح مكة والحكمة منها. الخاتمة وفيها: أهم نتائج البحث.

مبحث تمهيدي

أولًا: أهمية دراسة السرايا والغزوات

دراسة السرايا والمغازي تربي في نفوس المسلمين معاني التضحية والفداء، والوفاء والطاعة، والعزة والكرامة، وتغرس حب الصحابة رضي الله عنهم في قلوب المؤمنين، ولقد حرص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على تعليم أولادهم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه، فكانوا ينشئون أولادهم وصغارهم على تعليمها بل إنهم جعلوا تعليمها قرينًا لتعليم القرآن الكريم من حيث الأهمية. قال زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضى الله عنهم أجمعين: نَّا نُعَلَّمُ مَغَازِيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَرَايَاهُ كَمَا نُعَلَّمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ (الخطيب البغدادي، دت، ابن كثير، ١٩٨٦م).

وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: كَانَ أَبِي يُعَلِّمُنَا مَغَازِيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعُدُّهَا عَلَيْنَا، وَسَرَايَاهُ وَيَقُولُ: يَا بَنِيَّ هَذِهِ مَآثِرُ آبَائِكُمْ فَلَا تُضَيِّعُوا ذِكْرَهَا (الخطيب البغدادي، د.ت).

تعريف السيرة والغزوة والسرية، والفرق بين الغزوة والسرية

تعريف السيرة

في اللغة: مشتقة من مادة: (سير)، وسار من باب: (باع) السير الذهاب، ويقال: سار القوم يسيرون سيراً ومسيرًا، والاسم من كل ذلك السيرة جمعها سِير بكسر المهملة وفتح التحتانية، حكى إنه لحسن السيرة، ويقال: بارك الله لك في مسيرك أي في سيرك، والسيرة: الطريقة، يقال: سار بهم سيرة حسنة (ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٩٩٣م، الرازي، ١٩٩٩م، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، ١٩٥٩م).

السيرة في الاصطلاح: ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وما يتصل به من مولده إلى وفاته، وما يتعلق بحياته صلى الله عليه وسلم في الفترتين المكية والمدنية (الشرباني، ٢٠١٥م).

تعريف الغزوة: لغة: المرة من الغزو، والاسم الغزاة، وجمع الغازي غزاة كقضاة (ابن الأثير، المبارك بن محمد، ١٩٧٩م).

المغازي في الاصطلاح: ما وقع من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، أو بجيش من قبله (ابن حجر العسقلاني، ١٩٥٩م).

تعريف السرية

لغة: بفتح أوله وكسر الراء، وتشديد التحتية فعيلة بمعنى فاعلة، وجمعها السرايا.

اصطلاحًا السرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة سموا بذلك؛ لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشئ السري النفيس، وقيل: سموا بذلك؛، لأنهم ينفذون سرًا وخفية (ابن الأثير، ١٩٧٩م، الألوسي، ١٩٩٤م، السهيلي، ١٩٧٨م).

الفرق بين السرايا والغزوات

من خلال إطلاقات أهل المغازي والسير نستطيع أن نفرق بين الغزوة والسرية فنقول:

إن الغزوة:هي المهمة التي يخرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ويقودها بنفسه.

أما السرية أو البعث وكلاهما بمعنى متقارب، فالمقصود منهما: ما يرسله النبي صلى الله عليه وسلم لمهمة سواء كان لقتال الأعداء، أو لرصد أخبار وغيره مما لا يكون النبي صلى الله عليه وسلم خارجًا فيها.

وقد تسمى السرية غزوة قليلاً إذا حدث فيها أشياء كالتي تحدث في الغزوات من كثرة عدد الجيش، وطبيعة القتال الشديد،كما أطلق على مؤتة غزوة، وهى لم يخرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم، والأصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: وَلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ.

[لبخاري، ح٣٦، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان]

وقوله صلى الله عليه وسلم: مَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ إِلاَّ كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَىْ أُجُورِهِمْ.

[مسلم، صحيح مسلم، ح١٩٠٦ ،كتاب الإمارة، باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم]

ثالثًا: عدد الغزوات والسرايا

جاء في صحيح البخاري بسنده عن زيد بن أرقم قيل له: كَمْ غَزَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ غَزْوَةٍ؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ قِيلَ: كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ قُلْتُ: فَأَيُّهُمْ كَانَتْ أَوَّلَ؟ قَالَ الْعُسَيْرَةُ أَوْ الْعُشَيْرُ، فَذَكَرْتُ لِقَتَادَةَ فَقَالَ: الْعُشَيْرُ

[البخاري، ح٣٩٤٩، صحيح البخاري، كتاب المغازى، باب غزوة العشيرة]

ومراده الغزوات التي خرج النبي صلى الله عليه وسلم فيها بنفسه، سواء قاتل أو لم يقاتل، لكن روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً قَالَ جَابِرٌ: لَمْ أَشْهَدْ بَدْرًا وَلاَ أُحُدًا.

[مسلم، ح١٨١٤،كتاب الجهاد والسير، باب عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم]

فعلى هذا فات زيد بن أرقم ذكر اثنتين منها، ولعلهما الأبواء وبواط، وكأن ذلك خفي عليه لصغره، ويؤيد ذلك ما وقع عند مسلم بلفظ: قلتُ: مَا أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا؟ قَالَ: ذَاتُ الْعُشَيْرِ أَوْ الْعُشَيْرَةِ.

[مسلم، ح ١٢٥٤، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم]

والعشيرة كما جاء عند البخاري في ترجمة باب غزوة العشيرة قال ابن إسحاق: أَوَّلُ مَا غَزَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْأَبْوَاءَ، ثُمَّ بُوَاطَ ثُمَّ الْعُشَيْرَةَ.

[البخاري، ١٩٩٨م، صحيح البخاري، كتاب المغازى، باب غزوة العشيرة]

وقول جابر رضى الله عنه بأن غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن منحصرة في تسع عشرة، بل زائدة، وإنما مراد زيد بن أرقم بقوله: تسع عشرة، أن منها تسع عشرة كما صرح به جابر رضى الله عنه فقد أخبر جابر أنها إحدى وعشرون كما يفهم مما سبق.

أما البعوث والسرايا

عدها ابن إسحاق ستاً وثلاثين، وعدها الواقدي ثمانيةً وأربعين (ابن حجر العسقلاني، ١٩٥٩م).

وحكى ابن الجوزي ستًا وخمسين، وعد المسعودى ستين، وبلغها العراقى في نظم السيرة زيادة على السبعين، ووقع عند الحاكم في الإكليل أنها تزيد على مائة فلعله أراد ضم المغازي إليها.

وفي البداية: هذا الذي ذكره الحاكم غريب جدًا، وحمله كلام قتادة على ما قال، فيه نظر. فقد روى الإمام أحمد عن أزهر بن القاسم الراسبي عن هشام الدستوائي عن قتادة أن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ثلاث وأربعون: أربعة وعشرون بعثًا وتسع عشرة غزوة. قال الصالحي: والذي وقفت عليه من السرايا والبعوث لغير الزكاة يزيد على السبعين (ابن هشام، ١٩٩٥م، الواقدي، ١٩٨٩م، ابن سعد، ١٩٨٧م، ابن الجوزي، ١٩٩٧م، الصالحي، ١٩٩٣، الشرباني، ٢٠١٥م).

السرايا قبل غزوة بدر الكبرى والحكم والفوائد منها

سرية عبيد بن الحارث

هى أول راية عقدها النبي صلى الله عليه وسلم كما حكى ابن اسحاق، وحكى موسى بن عقبة والواقدي وابن سعد وغيرهم: أن راية حمزة هى أول راية عقدها النبي صلى الله عليه وسلم وجمع ابن إسحاق بين القولين فقال: أن بعث حمزة وبعث عبيدة كانا معًا فشبه ذلك على الناس (ابن هشام، ١٩٩٥م، ابن كثير، ١٩٨٦م، الصالحي، ١٩٩٣م).

وكان ذلك بعد رجوعه إلى المدينة من غزوة الأبواء، وقد بعث فيها عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، حتى وصلوا إلى رابغ فلقوا جمعًا عظيمًا من قريش، وكان على المشركين يومئذ أبو سفيان، وقيل عكرمة بن أبى جهل، وتراموا بالنبل، وكان أول من رمى فيها سعد بن أبى وقاص فكان أول من رمى بسهم في سبيل الله، ثم خشى المشركون أن يكون للمسلمين كمين فانسحبوا عنهم، ولم يتابعهم المسلمون (ابن هشام، ١٩٩٥م، ابن كثير، ١٩٨٦م، ابن حجر العسقلاني، ١٩٥٩م، الصالحي، ١٩٩٣م، الشرباني، ٢٠١٥م).

سرية حمزة بن عبد المطلب

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بعد غزوة الأبواء سرية عليها حمزة بن عبد المطلب إلى ساحل البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبًا من المهاجرين، وليس فيهم أحد من الأنصار، فلقى أبا جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بين الفريقين مجدى بن عمرو الجهنى، وكان موادعًا للفريقين، فانصرف الفريقين عن بعضهم، ولم يكن بينهم قتال (ابن هشام، ١٩٩٥م، ابن كثير، ١٩٨٦م، ابن حجر، ١٩٥٩م،الصالحي، ١٩٩٣م، الشرباني، ٢٠١٥م).

سرية سعد بن أبي وقاص

بعث النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص في سرية قوامها ثمانية رهط من المهاجرين فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز ثم رجع، ولم يلق كيدًا. وذكر ابن إسحاق أن هذه السرية كانت فيما بين غزوة العشيرة، ونقل عن بعض أهل العلم أن بعث سعد كان بعد حمزة (ابن هشام، ١٩٩٥م، الشرباني، ٢٠١٥م).

سرية عبد الله بن جحش

كانت أقل عددًا من جميع السرايا التي سبقتها، ولكنها لها أهمية بالغة من ناحية نتيجتها إذ قتل المسلمون فيها رجلًا من المشركين يسمى عمرو بن الحضرمي، وأسروا رجلين (محمد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، ص٢٢١).

وكان فيها أول أسير في الإسلام، وأول قتيل من المشركين بأيدي المسلمين، وأول مال خمس في الإسلام، ولما أكثر المشركون الكلام على المسلمين في القتل في الشهر الحرام نزل القرآن معتذرًا ومدافعًا عن ما وقع من المسلمين، ولائمًا وعائبًا على مايقع من المشركين (الصالحي، ١٩٩٣م) في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (سورة البقرة. آية ٢١٧).

وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمراء السرايا

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا... الحديث.

[مسلم، ح ١٧٣١، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث]

وأخرج أحمد في مسنده بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ: اخْرُجُوا بِسْمِ اللهِ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، لَا تَغْدِرُوا، وَلا تَغُلُّوا، وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ، وَلا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ.

[أحمد بن حنبل. ح ٢٧٢٨. مسند أحمد .حسن لغيره]

وهذا يظهر هديه صلى الله عليه وسلم في الحروب وحرصه على المدنيين المسالمين خاصة النساء والأطفال، والرهبان في الصوامع، واحترام حقوق الإنسان حتى مع المحاربين بعدم الغدر أو التمثيل بهم، وفي هذا بيان أن الإسلام ينشد السلام العالمي ويحافظ عليه حتى في حروبه، ومع أعدائه، ويدل على سبق الإسلام على جميع الحضارات في تقرير حقوق المدنيين المسالمين وحقوق الأسرى، ويرد شبه المستشرقين ومن لف لفهم حول الحروب الإسلامية.

الحكم والفوائد من السرايا قبل غزوة بدر الكبرى

أ. جميع السرايا التى سبقت بدراً، كانت من المهاجرين فقط؛ وفي هذا رد على شبه بعض المستشرقين ومن تابعهم في أن هذه السرايا التي اعترضت القوافل التجارية كانت للنهب والسلب! كيف ذلك و المهاجرون من وقع عليهم ظلم قريش ونهب أموالهم فكان لهم الحق الواضح في محاولة استرداد بعض حقوقهم وأموالهم المسلوبة وكان بمثابة المعاملة بالمثل، كما سلبت قريش أموال المسلمين ودورهم في مكة، وكانت تنفيذًا لأمر الله عز وجل بالقتال، وتحطيم قوة العدو الاقتصادية، وكان دور الأنصار في هذه المرحلة هو الاستعداد لمواجهة أى اعتداء قادم على المدينة.

ب. كان من أهداف هذه السرايا والغزوات إشعار مشركي يثرب ويهودها، وما حولها من الأعراب بقوة المسلمين، وأنهم يستطيعون صد أى هجوم على المدينة، وإرهاب أعداء الداخل من مناصرة أحد من الأعداء عليهم، وحفظ هيبة المسلمين.

ج. إضعاف الاقتصاد القرشي واستعادة بعض الحقوق المسلوبة، وتدريب الصحابة على إتقان فنون القتال، ورصد تحركات قريش، واختبار قوة العدو.

د. عقد معاهدات وموادعات مع بعض القبائل والأعراب على طريق التجارة يحفظ أمن المسلمين من شرهم من ناحية، ويكسب ودهم وتعاونهم من ناحية أخرى، وبهذا حققت هذه السرايا فوائد عديدة سياسية وعسكرية (الشرباني، ٢٠١٥م).

هـ. إنذار قريش عقبى طيشها؛ فقد حاربت الإسلام، ولا تزال تحاربه، ونكّلت بالمسلمين في مكة، ثم ظلت ماضية في غيّها، لا تسمح لأحد من أهل مكة أن يدخل في دين الله، ولا تسمح لهذا الدين أن يجد قرارًا في بقعة أخرى من الأرض، فأحبّ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشعر حكام مكة بأن هذه الخطة الجائرة ستلحق بهم الأضرار الفادحة (الغزالي، ٢٠٠٦م).

ز. تميَّزت بعض السرايا والبعوث ببعض الابتكارات العسكرية الفذة، ففي سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة استُخدم أسلوب الرسائل المكتومة، وهو أسلوب متطور يعد من أفضل (التكتيكات) الراقية لنظم الاستخبارات العسكرية. (العمري، ١٩٩٦ م).

ح. مانزل من القرآن الكريم في سرية عبدالله بن جحش يؤكد أن الإسلام الحكم العدل حتى مع غير المسلمين، وأنه إذا وقع خطأ من المسلمين بين لهم ووجههم لإصلاح خطأهم مع عدم جلد الذات والأتباع عند وجود العذر والضرورة.

ط. النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من أعلن حقوق المدنيين والحربيين في الحروب وحافظ عليها في سراياه وغزواته، فلم يقتل طفلا ولا امرأة ولا شيخًا ولاراهبا في صومعته، ولم يمثل ولم يغدر وأوصى أصحابه بذلك.

الحكم والفوائد من السرايا بعد صلح الحديبية

كانت هذه السرايا خلال العام السابع للهجرة، وتبلغ عدتها عشرة سرايا أرسلها النبي صلّى الله عليه وسلم بإمرة مختلف الصحابة، وفي هذه الفترة نفسها، بدأ النبي عليه الصلاة والسلام يبعث كتبًا إلى مختلف ملوك ورؤساء العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام، ونبذ ما هم عليه من الأديان الباطلة (الصالحي، ١٩٩٣م)

أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يبعث السرايا من أصحابه إلى مختلف قبائل الأعراب المنتشرة في الجزيرة العربية؛ لتقوم بوظيفة الدعوة إلى الإسلام، وقد بقيت بعض القبائل أبت المهادنة، وكانت تعيش على الإغارة والقتل وهم قبائل متناثرة فاحتيج إلى تلك السرايا التي تستطيع أن تؤدبهم وتكفي المسلمين شرهم.

١. الحكمة من هذه السرايا التي بعثها رسول الله صلّى الله عليه وسلم منتشرة في القبائل، والكتب التي أرسلها إلى مختلف ملوك ورؤساء العالم، تمييز هذه المرحلة من الدعوة في حياته عليه الصلاة والسلام، عن المرحلة التي قبلها وهي الدعوة الى الإسلام ومجابهة من يصد عن سبيل الله (البوطي، ٢٠٠٥م).
٢. كان بث السرايا في فيافي نجد توطيد هيبة المسلمين العسكرية، والهدف الأكبر من بعثها توطيد الأمن، ومنع الغارات على المدينة، وتمكين الدعاة إلى الله من أن يجوبوا الأفاق بتعاليم الرسالة دون غدر أو خيانة (الغزالي، ٢٠٠٦م).
٣. سرايا الإغارات كانت جزاء الغدر والخيانة ونقض المواثيق التي قام بها أولئك الأعداء المتربصون، والحرب خدعة، ومخادعة مثل أولئك الأعداء للقضاء عليهم فيها حقن لدماء كثيرة وتوفير لجهد كبير مع عدم الاعتداء على النساء والأطفال (العمري، ١٩٩٦م).
٤. أن السرايا بعد صلح الحديبية كانت إلى قبائل متفرقة بعيدة عن المدينة وغالبهم من الرحل والبدو الذين يعيشون عل النهب والإغارة فكانت السرايا لمنعهم من الإغارة والنهب، وبيان قوة المسلمين وتعريفهم بالإسلام.

سرية مؤتة والحكم والفوائد منها

مؤتة: هى بالقرب من البلقاء من أرض الشام، وقد أطلق علماء السيرة على مؤته غزوة؛ لكثرة عدد المسلمين فيها، ولأهميتها الكبيرة ولكنها في الحقيقة ليست بغزوة بل هى سرية؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج فيها (ابن كثير، ١٩٨٦م، البوطي، ٢٠٠٥م، ابن حجر العسقلاني، ١٩٥٩م). كانت في شهر جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة، وقيل:كانت سنة سبع (ابن هشام، ١٩٩٥م، ابن كثير، ١٩٨٦م، ابن حجر، ١٩٥٩م).

سببها: أن شرحبيل بن عمرو الغسانى، وهو من أمراء قيصر على الشام قتل رسولًا أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى صاحب بصرى. (الطبري، ١٩٦٧م، ابن حجر، ١٩٥٩م).

ولم تجر العادة بقتل الرسل، وذكر أنه كانت هناك مضايقات وإيذاءت من عرب الشام للمسلمين من أهل المدينة في تجارتهم إلى الشام، وحاولوا فرض نوع بن الحصار الاقتصادي إلى جانب قتلهم لمن يسلم منهم، وهذا قبل قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان لابد من هذه السرية الكبيرة؛ لفرض هيبة الدولة الإسلامية حتى لا تتكرر مثل هذه الجرائم في المستقبل.

أحداث السرية: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين للخروج إلى مؤتة فاستجاب الصحابة رضي الله عنهم، وبلغ عددهم ثلاثة آلاف مقاتل، واختار للقيادة ثلاثة أمراء على الترتيب. وروى البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي القَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَة.

[البخاري، ح ٤٢٦١، صحيح البخاري، كتاب المغازى، باب غزوة مؤتة من أرض الشام]

قال ابن حجر وجاء في المغازي لموسى بن عقبة: ثم أخذه – يعنى اللواء – عبد الله بن رواحة فقتل، ثم اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد فهزم الله العدو وأظهر المسلمين. قال العماد بن كثير: ويمكن الجمع بأن خالد لما حاز المسلمين وبات، ثم أصبح وقد غير هيئة العسكر توهم العدو أنهم قد

جاء لهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ فولوا فلم يتبعهم، ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى (ابن حجر، ١٩٥٩م).

من الحكم والفوائد من سرية مؤتة

١. أهمية دم المسلم والحفاظ عليه وعلى كرامته فقد سير النبي صلى الله عليه وسلم هذا الجيش كما ذكر في سببه من أجل قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحفاظ على كرامة المسلم وتأمين حياته.
٢. أن هذه الغزوة كانت كاشفة لأحوال هذا العدو الجديد، وحقيقته وأساليب قتاله، فهي من الأهمية بمكان.
٣. أن المؤمنين الصادقين لا يقاتلون بعدد ولا عدة، وإنما يقاتلون بإيمانهم بالله عزوجل والثقة بنصره (الشرباني، ٢٠١٥م).

سرايا تحطيم الأوثان بعد فتح مكة والحكمة منها

ومنها: بعث خالد بن الوليد إلى العزَّى، سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة، سر ية عمرو بن العاص إلى سواع، بعث خالد بن الوليد وأبي سفيان بن حرب إلى اللات، سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى سواع. الحكمة منها: أن سرايا تحطيم الأوثان انطلقت؛ لتنفيذ المهمة الأساسية لدعوة الإسلام الخالدة، وهي إزالة كل رموز الشرك والوثنية من أرض التوحيد والحنيفية السمحة، وإظهار ضعفها ومعاقبة سدنتها (العمري، ١٩٩٦م).

الخاتمة

السرايا والبعوث تاريخ من التضحية والجهاد والفداء والعزة والكرامة وحب الإسلام والزود عنه تمثل في هؤلاء الصحابة أصحاب المهمات الخاصة، وكان للسرايا دور كبير في التمهيد للغزوات والفتوحات، ولكل منها حكم وعظات سردت بعضها في هذا البحث.

من أهم النتائج

١. هناك فرق بين الغزوات والسرايا فالغزوات المهمات العسكرية يقودها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، أما السرايا فيؤمر عليهم أحد الصحابة رضي الله عنهم.

٢. من حكم السرايا التي قبل غزوة بدر الكبرى إشعار مشركي قريش ويثرب ويهودها وما حولها من الأعراب بقوة المسلمين، وأنهم يستطيعون صد أى هجوم على المدينة، وإرهاب أعداء الداخل من مناصرة أحد من الأعداء عليهم، وحفظ هيبة المسلمين.

٣. أن السرايا لم تكن قطعًا للطريق أونهبًا كما يرروج لذلك المستشرقون بل لإشعار الأعداء في الداخل والخارج بقوة المسلمين، وحفظ هيبة المسلمين، واستعادة بعض الحقوق المسلوبة، وإضعاف الاقتصاد القرشي، وتدريب الصحابة على إتقان فنون القتال، ورصد تحركات قريش، واختبار قوة العدو.

٤. حرص النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في حروبه وسراياه على المدنيين المسالمين خاصة النساء والأطفال، والرهبان في الصوامع، واحترام حقوق الإنسان حتى مع المحاربين بعدم الغدر أو التمثيل بهم.

٥. من الحكم والعظات من السرايا بعد صلح الحديبية توطيد الأمن، ومنع الغارات على المدينة، وتمكين الدعاة إلى الله من أن يجوبوا الافاق بتعاليم الرسالة دون غدر أو خيانة.

٦. أهمية وجود قوات خاصة تقوم بالمهمات العسكرية والدعوية واللوجستية مما لا تستطيع الجيوش القيام به أو لا يناسبها.

٧. من حكم وعظات سرية مؤتة أهمية دم المسلم والحفاظ عليه وعلى كرامته، والكشف عن أحوال هذا العدو الجديد، وحقيقته وأساليب قتاله، وأن المؤمنين الصادقين لا يقاتلون بعدد ولا عدة وإنما يقاتلون بإيمانهم بالله عزوجل والثقة بنصره.

٨. أن سرايا تحطيم الأوثان انطلقت بعد فتح مكة؛ لتنفيذ المهمة الأساسية لدعوة الإسلام الخالدة، وهي إزالة كل رموز الشرك والوثنية من أرض التوحيد وترسيخ الحنيفية السمحة فيها.

المصادر والمراجع

الألوسي، محمود ، (١٩٩٤م)، *تفسير الألوسى المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى*، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن الأثير، المبارك، (١٩٧٩م)، *النهاية في غريب الحديث*، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن،(١٩٩٧م)، *تلقيح فهوم الأثر*، بيروت: دار الأرقم بن أبي أرقم.

ابن حنبل، أحمد بن محمد (٢٠٠١م)، *مسند أحمد بن حنبل*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون،(ط١)، مؤسسة الرسالة.

ابن حجر العسقلانى، أحمد،(١٩٥٩م)، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، (ط.٣). المكتبة السلفية.

ابن سيد الناس، محمد، *عيون الأثر في فنون المغازى والشمائل والسير*، تحقيق: محمود الشرقاوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن سعد، محمد ، (١٩٨٧م)، *الطبقات الكبرى، المدينة المنورة*، مكتبة العلوم والحكم.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر،(١٩٨٦م) ، *البداية والنهاية*، دار الفكر.

الخطيب البغدادي أحمد بن علي، د.ت، *الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع*، تحقيق: د. محمود الطحان، الرياض، مكتبة المعارف.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، ١٩٩٣م، *لسان العرب، بيروت*، دار صادر.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، (١٩٥٥ م)، *السيرة النبوية*، مصطفى البابي الحلبي.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٩٩٨م)، *صحيح البخاري*، دار طوق النجاة.

البوطي محّمد سَعيد رَمضان،(٢٠٠٥م)، *فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة*، (ط: ٢٥)، دار الفكر – دمشق.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، د.ت، *مختار الصحاح*، دار المنار.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، (١٩٧٨م)، *الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام*، دار المعرفة.

الصالحي، محمد بن يوسف، (١٩٩٣ م) ، *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*،(ط.١). بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبري محمد بن جرير بن يزيد، ١٣٨٧م، *تاريخ الطبري*، بيروت: دار التراث.

العمري، بريك بن محمد بريك أبو مايلة، (١٩٩٦ م)، *السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة*، إشراف: أكرم ضياء العمري، (ط١) دار ابن الجوزي.

الغزالي، محمد السقا، (٢٠٠٦م)، *فقه السيرة*، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني،(ط١.) دمشق ، دار القلم.

مسلم بن الحجاج ، د.ت، *صحيح مسلم*، دار إحياء التراث العربي.

الواقدي، محمد بن عمر،(١٩٨٩م)، *المغازى*، تحقيق: د/ مارسدن جونس، بيروت، دار الأعلمي.

النجار محمد الطيب، *القول المبين في سيرة سيد المرسلين*،د.ت، بيروت، لبنان، دار الندوة الجديدة.

النووي، يحي بن زكريا،(١٩٧٢)، *شرح النووي على صحيح مسلم*، دار إحياء التراث العربي.